معزوفة طائر العاصفة

ان عاطفة التفريب والهدم عاطفة خلاقة ..
- باكونين -

كانت قدمي ظلا عبر تخوم هزائمنا
يقرع احشاء الارض الحبلى
وسراويل الحلاج ..
ولساني كان اتانا
أورق في فمه جرح
يركبه ، أن رقد الليل على صدردمشق
أبو الفتح
ويهرب بالكلمات ،
فأقتل في شفتي بسمات بكر
وانام على جوعي ساعات ..

●

أحيانا تطفو بي الرغبة في الشمس
على « بردى »
فاروّي عينيّ بلون الدم
يتحرك في خارطة الوطن الممتد
وطيور النورس تنشر أجنحة بيضاء
على مدن الحلم
فتحدث « عائشة » « انجيلا ديفيز »
عن رائحة الشرق تغازلها الريح
ويراقص « زوربا » « باكونين »
على أرصفة المنفى
ويصفق « رامبو » بجناحيه
على ادغال الحبشة ..

●

أحببتك يا وطني المنفى
بدمار القلب ،
وفوضى الكلمات ..

●

أحلم أحيانا
حين أجوع الى دفء الارض ،
وتهفو حنجرتي الحمراء
الى ذرات هواء
أحلم
حين يجرجرني الشارع في بركة دم
ويفيق بجنبي الايمن ضلع زائد ..
أحلم بامرأة حبلى
تتقدم نحوي
غارقة في الثلج ،
كملعقة بين اصابع طفل غجري
في فخذيها ينبت شوك
وعلى نهديها تحلم مطفأتان ..
وتمد الي صدري كفيها
فيذوب الجوع ،
ويمطر في « هانوي »
اشجارا واقفة تحت الغارات ،
وتحبل زنزانات العالم بالثوار ..

●

افتح عينيّ : مواخير تلهث
من حولي
وخنادق تركض بالفضلات ،
وتهزأ ، طول اليوم ،
بجوع الفقراء ..

●

امس انتحرت اختي العانس
في أول خطبة
وانهارت امي كالنخلة فوق ذراعي
حين انفلتت ضحكات الجيران
فتكوّر حقدي
وانتفخ لساني
وتذكرت رفيقي يخطب في الاقنان
في « بطرسبورغ » ..

●

وتقيأت مصيري في ثغر وليد غجري
ضاجعه الاسفلت اليابس ،
في طل الصبح
حين افاقت رحم الام
على صيحة ديك
كان يراود ظل دجاجة
عبر الشارع ،
مثل ربيع امرأة عاشقة معشوقة ..

●

كانت شلالات القيم تثرثر
في مذياع الجيران ،
وكان رفيقي في العتبة
يسلخ خديه بحد الموسى
اكراما للوجد العربي ،
وسيدة الشرق
تتفوط في آذان الطلبة ..
الاسم رضا
غصن معروق يتدلى من شجره
تتنفس في مقبرة جدبه
الف سنة
نوم بين مساجد مراكش
والبصرة
وغناء ، حتى الموت ،
على ثلج الرغبة ..
الاسم رضا
لا يبصر ابعد من أنفه
في أيام الصحو
والحنجرة محيط تمخره
خيل « جرير »
وكلاب البدو
وهوايته جمع نفايات الشارع ،
يحرقها في لحظات الخطبة ..

●

ما اعذب أن تكره وطنك
في لحظة هدم وبناء ..

●

سقطت في الوحل القدس وطروادة
لم يبق سوى الاهرام
تجرجر اعينها في وجه ابي الهول
يغنيّ للريح على وقع خطى الدبابات..
سقطت « حطين »
لم يبق على الوطن الممتد
سوى النيل
وحدائق « بابل »
تملأها أبواب القصر
وشبابيك القصر ،
وغلمان القصر
وموائد هارون واوسمة النصر
ونعال الشعراء القردة
يأكلها احفاد صلاح الدين ،

على الضفة عند صلاة الفجر ..

●

وعلى الارض الكنعانية
قرأ الليل كتابه
وأعاد قراءة ما قرأت عيناه
فنمت في جبهته غيمة
كبرت في لحظة يأس ،
فبكت
فأفاضت « طبرية »
وامتدت « جيكور » على سعفة نخلة
سقطت ظلا فوق صغار الاطفال
بقريتنا
يبنون الليل متاريس
من الخبز الاسود
ويغوصون الى قيعان النيل ،
يدقون الاجراس
على أقدام الموتى ..
كان النيل المصروع
فخذا منفوخا في عينيّ
وكانت كفّي تمخر « حلوان »
مع الفجر الساقط ،
في فوهات الجوع ..

●

تحملنا صحف العالم كل صباح
أطفالا موهوبين ،
تناسل فيهم رهط ابي بكر
قبيل الغارة
ونساء حبلى بالدمع ،
وأبكارا دون بكارة
ورجالا شدّوا الرشاشات
الى خيل جرّارة
تعلك خيمات العزّل في « شرم الشيخ »
وتلعق ان ظمئت ،
بترول الصحراء ..
تحملنا صحف العالم اضراسا سوداء
وشفاها أورق فيها السدر ..
ومجلات الكوفة تحملنا
غيمات حبلى
بالقطر
وسواعد وشمّها سيف الدولة ،
ذات مساء
عبر مضارب « جسّاس »
وعيونا تعتصر الأفقَ اناشيد ،
على شفة الخنساء ..

●

ما أعذب أن تكره وطنك
في لحظة هدم وبناء ..

●

كنتُ أسير أعرجا
في شارع مبحوح
أفلي الرصيفين .. وكان سيدي
على مقعده المجروح
تحمله المراوح الصيفية
تفرقه في الخمر حتى الرقبة
كان .. وكانت في قرارتي
مراوح الشتاء
تنفخ فيّ نار الجوع والقضية ..

●

دخّن ، فحذار من التدخين
ضع ساقك اليمنى على اليسرى
ولوّح باليمين
يدخل عليك صدرها ذو القبّعتين
وجوفها الضامرُ من شيطنة الردفين
أشعل لها سيجارة ،
وللهوى سيجارتين ..
دشن بمنخريك مدخنة
فبعد ساعة أو سنة أو سنتين
وبعد أن تمشي على رقابنا
قافلة الأذناب
والمقرّبين ..
وبعد أن يموت اخوتي
في ظلمة السجون
وبعد أن ..
وبعد أن تصدأ في دمائنا السكين
لا بدّ في دماغكم ، ياسيدي ،
ينفجر الكمين ..

●

كنتُ على ارصفة الغربة
أتبوّل في الليل
على قبر الجنديّ المجهول
حين تراءى « جيفارا »
كالمارد يصعدُ في « عرفات »
يهتف بالأعراب :
(أن انتشروا في معطف « دقيانوس »
الفاما ،
وعبوات ناسفة ،
وسكاكين ..)
فسحبتُ لساني عن لوحات الدهشة
ومددت يدي في غابات الوطن المنفى
أبحث عن نار « العيّارين »
كان الثلج يلف « أبا ذرّ »
وأحفادَ « أبي ذرّ » ،
وكان قياصرةُ الصحراء
يزنون على سفر التكوين ..
لكني أسريت الى مدن النار
وعلى قمم « الأوراس »
نصبتُ عظام القدمين ،
وأعلنت فصول التفجير ..

●

في قسمات الأطفال بقريتنا
نقرأ : (يأتي حلمُ الفقراء
وأطفال العالم
يأتي حين يسود اللّص
ويتوّجُ فينا العملاء ..)
بشمت كلّ ثعالبنا
وتناسل عبر الوطن المنفى
الساسةُ والأسياد
وآلهة الطين ..
الوطنُ الممتدّ من الدار البيضاء
الى البحرين
خطبٌ ووعودٌ
تتدحرج خجلى في نشرات الأنباء
وقوائم سوداء تنوء
بما تحمل من أسماء ..
قالوا يأتي حلمُ الفقراء
حين يسود المنحرفون
ويتوّج فينا العملاء ..

●

أجرؤُ أو لا أجرؤ
هذا اليومَ صليب الناس ،
وطاعونُ الأرض ..
مَن يقتل فينا « هاملت » ؟
مَن يقتل فينا « هاملت » ؟
مَن يقتل فينا « هاملت » ؟

●

يقول لي الأذنابُ ساعة اللقاء :
لا تطلق الحروفَ ،
فالسماء
مسودّة وأفقها رماد
وأنت عاطل ، شرابك المداد
وخبزك العبارة ..
ياعارهم !
يا جبنهم !
هل يقدر البركان ان يؤخر انفجاره !!

●

أعرفُ أنني اسير فوق الثلج
يا مدينة السلام
أعرفُ أنني قد افتح الأبواب
وقد أموتُ في الطريق
لكنني على مراكب الألم
سأعبر المضيق ..

●

مسافرٌ اليكِ في المقاطع الثورية
تخنقني أظافرُ المجاعة
تشدّني الى تربتها
مقابرُ القناعة ..
مسافرٌ اليكِ ، حتى الموت ،
يا حدائق الحرية ..

تونس — **الطيّب الرياحي**